يسوع لا يحترم شريعة السبت

(مت ١٢: ٩-١٤)

الخوري نعمةالله الخوري

دخل يسوع الى المجمع يوم السبت، فتجادل مع الفرّيسيّين حول إمكانيّة شفاء رجل يده يابسة. تتركز هذه المقطوعة حول احترام يسوع لشريعة السبت، وقد أوردها الإزائيّون الثلاثة (مت ١٢: ٩-١٤؛ مر ٣: ١-٦؛ لو ٦: ٦-١١). توافق هؤلاء على إيراد خبر شفاء هذا المريض بعد خبر فرك السنابل يوم السبت (مت ١٢: ١-٨؛ مر ٢: ٢٣ي؛ لو ٦: ١ي). هناك ارتباط وثيق بين الخبرين : في الحقول، تعدّى التلاميذ على شريعة السبت حين فركوا السنابل، فدافع يسوع عن تصرفهم؛ أمّا في المقطع الذي نعالجه، فإن يسوع هو الذي لا يحترم شريعة السبت حين شفى مريضاً خلال اليوم المخصص للراحة.

سنحاول أن نتعرّف إلى كيفيّة تطبيق شريعة السبت في المدارس اليهوديّة لنستطيع أن ندرك مدى تجاوز يسوع لهذه الشريعة؛ هكذا يمكننا أن نستنتج بعض المعاني اللاهوتيّة التي يحملها يوم الرب في العهد الجديد.

أولا : شريعة السبت في تعليم الرابانيّين

يعتبر الفرّيسيّون الذين يواجهون المسيح في المجمع، أنّه لا يحق ليسوع أن يمنح الشفاء لذلك المريض في يوم السبت (شَبَتْ = راحة)، لأنّ اللّه ارتاح في هذا النهار (تك ٢: ٢)؛ حين سأل الخصوم يسوع حول إمكانيّة شفاء ذلك المريض يوم السبت، أجابهم الربّ مستعيناً بمثل الخروف الواقع في الحفرة (آ ١١). يذكّر يسوع محاوريه، بواسطة هذا المثل، أنّ الرابانيّين سمحوا بتجاوز شريعة السبت، إذا كانت حياة الإنسان أم الحيوان مهددة بالخطر. وبالفعل، تساهلت بعض مدارس الرابانيّين المتحرّرة في موضوع احترام شريعة السبت؛ في هذا الخصوص، يقول ترجوم ميخيلْتَا حول الخروج ما يلي: «لكي نبعد خطر الموت، يمكننا أن نتجاوز شريعة السبت» (ميخيلْتَا خروج ٢٢: ٢؛ ٢٣: ١٣). لكن حالة المريض، صاحب اليد اليابسة، ليست طارئة، وهذا المريض يستطيع أن ينتظر يوماً آخر لينال الشفاء؛ هذا يعني أنّ التساهل الذي سمح به الرابانيّون، حول احترام شريعة السبت، لا يطال حالة هذا المريض غير الطارئة، وبالتالي لا يمكن ليسوع أن يمنحه الشفاء، وإذا شفاه سيُقاد إلى المحاكم.

ثانياً : حالة المريض الطارئة

يرفض يسوع منطق الفريسيّين الذي يفرض انتظار يوم آخر لكي يمنح الشفاء لهذا المريض؛ إذا وقع حيوان في حفرة يوم السبت، فإنّ صاحبه يخلّصه فوراً، ولكن حالة هذا الانسان، صاحب اليد اليابسة، هي أكثر إلحاحاً من حالة خروف يقع في حفرة؛ هذا ما دفع يسوع لكي يسأل خصومه حول إمكانيّة تخليص النفس يوم السبت (مر ٣: ٤)؛ يبدو أنّ يسوع أراد أن يعطي الخلاص لهذا المريض يوم السبت من خلال شفاء يده اليابسة. للخروف الوحيد قيمة كبيرة عند صاحبه، غير أنّ قيمة الانسان هي أكبر من قيمة الحيوان (مت ٦: ٢٦؛ ١٠: ٣١). جاء يسوع ليعيد الى الخليقة النظام الذي خسرته إثر حادث محدد؛ ينفرد لوقا عن الإزائيّين، فيقول إن يد الرجل اليمنى هي يابسة (لو ٦: ٦) : إنّ اليد اليمنى قد نالت الشفاء، أي أنّها نالت الخلاص، فعاد الانسان إلى دوره كسيّد على الخليقة، بعد أن تعطّلت حياته، ومنعه الشلل من القيام بهذا الدور.

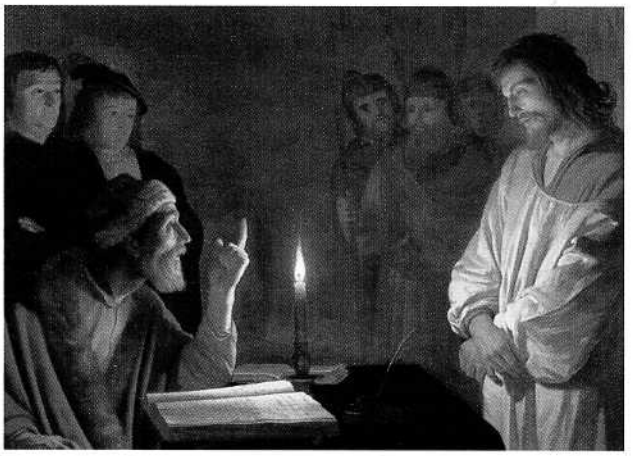

بين يسوع ورؤساء الكهنة لم يتوقف الجدال:
هو يشاء رحمة، وهم لا يريدون سوى الذبائح:
«أفعلُ الخير يجوز يوم السبت، أم فعلُ الشر؟ إنقاذُ نفسٍ أم قتلُها؟» (مر ٣:٤)

ثالثاً : عمل الخير يوم السبت

سأل الفريسيّون يسوع : أيحلّ الشفاء يوم السبت (آ ١٠) ؟ ولكن يسوع نقل الجدال إلى مستوى آخر، فأجاب : يجب فعل الخير يوم السبت (آ ١٢). إنّنا نلاحظ أنّ الفريسيّين يطرحون هذا السؤال الذي يختلف الرابانيّون حول تفسيره. وقد ذكرنا أعلاه أنّ بعض مدارس الرابانيّين المتحرّرة قد تساهلت في هذا الخصوص، ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ هذا الأمر بقي موضوع جدال بين الرابانيّين. حاول الخصوم أن يقحموا يسوع في جدالات معلميهم، ولكن المعلّم الإلهي رفض أن يعالج هذه الفتاوى اللاهوتيّة، فأجاب أنّه يجب فعل الخير. إنّ خبر مرقس يوجهنا في هذا الاتّجاه؛ فالإنجيلي الثاني لم يستشهد بمثل الخروف الذي وقع في الحفرة يوم السبت، لأنه يكتب إلى قراء وثنيين لا يهتمون كثيراً بأمر مجادلات الرابانيين حول شريعة السبت. بعبارة أخرى نقول: إنّ مرقس تجنّب أن يعطي مثلاً ملموساً (مثل الخروف الذي وقع في الحفرة)، لأنّه لا يركز اهتمام قرّائه على الآراء اللاهوتيّة المتناقضة، بل هو يضعهم أمام خيار جذري : عمل الخير أم عمل الشر، خلاص نفس أم هلاكها ؟

يشدد خبر شفاء الرجل صاحب اليد اليابسة يوم السبت على الرحمة، أكثر من تشديده على الفرائض الدينيّة. إنّ مقارنة تصرّفات يسوع مع تصرّفات الرابانيّين تجعلنا نلاحظ أنّ توجيهات يسوع هي محرّرة، لأنّها تجعل كلّ تصرّف ديني في خدمة الإنسان البائس. سأل الخصوم : هل يمكن الشفاء ؟ أجاب يسوع : علينا أن نعمل الخير. إنّ السؤال المطروح هو على مستوى المسموح والممنوع، في حين أنّ جواب يسوع يتعلّق بفعل الخير. يعلّمنا يسوع أنّه يجب تغيير طريقة تفكير الانسان حول مفهوم شريعة السبت.

رابعاً : سلطة يسوع على السبت

إنّنا نتساءل : كيف يتجرّأ يسوع فيغيّر شريعة السبت؟ هل يملك يسوع السلطان لكي يغيّر شريعة موسى التي نالها من اللّه على جبل سيناء (خر ٢٠:١١)؟

إنّ يسوع هو المشترع الجديد، وقد تفوّق بتعاليمه على شريعة موسى. يقول متّى الإنجيلي إنّ يسوع صعد الى الجبل ليعلّم تلاميذه والجموع (مت ٥:١)، وهذا يعني أنّ متّى يريد أن يبرهن أنّ صعود يسوع الى الجبل شبيه بصعود موسى إلى جبل سيناء لينال الوصايا. ولكن يسوع، في هذه العظة على الجبل، غيّر شريعة الطلاق، كما أمر بها موسى (مت ٥:٣١-٣٢)، واقترح الصفح بدلاً من شريعة العين بالعين والسن بالسن (مت ٥:٣٨-٤٢)، وطلب محبّة الأعداء عوضاً عن بغض العدو (مت ٥:٤٣-٤٨). وبعد عظة الجبل، نلاحظ أنّ الجموع تعجبت من تعليم يسوع، لأنّه كان يعلمهم مثل من له سلطان، لا مثل معلّمي الشريعة (مت ٧:٢٨-٢٩). إنّ تأكيدات يسوع : «قيل لكم...، أمّا أنا فأقول...»، تبرهن أنّ يسوع لا يريد أن يلغي شريعة موسى، ولكنّه يريد أن يقودها إلى كمالها (مت ٥:١٧).

خاتمة

لقد وضع السبت في خدمة الإنسان، ولا يمكن أن يكون الإنسان في خدمة السبت. بما أنّ يسوع هو رب السبت (مت ١٢:٨)، فهو يستطيع أن يتهجّم على التعلّق الحرفي بشريعة السبت. يريد يسوع أن يحرّر الناس من عبوديّة الشريعة. يقول بولس في هذا الخصوص : «أمّا الآن، وقد متنا عمّا كان يأسرنا، فقد أُعتِقنا من الشريعة، وأصبحنا نعمل في نظام الروح الجديد، لا في نظام الحرف القديم» (روم ٧:٦). إنّ العبادة الحقيقيّة ليست في الامتناع عن القيام ببعض الأعمال الدنيويّة يوم السبت، فقد أتت الأيّام التي فيها يعبد العباد الحقيقيّون الآب بالروح والحق (يو ٤:٢٤). إنّ عمل الخير يوم السبت لا يعني تجاوز الشريعة، بل إن السبت يأخذ معناه الحقيقي بواسطة فعل الخير وتخليص النفس.

لم يعترف الفريسيّون الذين يجادلون يسوع في المجمع بسلطته على السبت، فقرروا أن يهلكوه.